OTHECA ALEXAND

كتاب



وتخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها
وفائدة علم التاريخ من ذلك

﴿ تأليف ﴾

(حفنى بك ناصف وكيل محكمة طنطا الأهلية)

وهى الرسالة التى قدمها المؤلف لمؤتمر المستشرقين فى ويانا سنة
١٨٨٦ وطبعت فى محاضره ثم طبعت فى بولاق ونفدت نسخها
وقد أضيف اليها الآن زيادات وتنقيحات بقلم المؤلف

﴿ الطبعة الثانية ﴾

على نفقة الشيخ مصطفى تاج وولده ابراهيم تاج
باذن من حضرة المؤلف

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٣٠ هـ)

كتاب



وتخريج ما يمكن من اللغات العاميـة عليها
وفائدة علم التاريخ من ذلك

﴿ تأليف ﴾

(حفنى بك ناصف وكيل محكمة طنطا الأهلية)

وهى الرسالة التى قدمها المؤلف لمؤتمر المستشرقين فى ويانا سنة ١٨٨٦ وطبعت فى محاضره ثم طبعت فى بولاق ونفدت نسخها وقد أضيف اليها الآن زيادات وتنقيحات بقلم المؤلف.

﴿ الطبعة الثانية ﴾

على نفقة الشيخ مصطفى تاج وولده ابراهيم تاج
باذن من حضرة المؤلف

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٣٠ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد موفق من شاء الى ما شاء والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء فان للغة العربية من الفوائد خزائن لا تنفد وكنوزا لا تفنى وبدورا لا تحجب وعيونا لا تنضب ورياضا لا تذوى ولكن لا يصل اليها إلا من غاص بحرها وولى وجهه شطرها وسبر كنه أغوارها وجاس خلال ديارها وجاب نجادها ووهادها وراد مروجها وورد مناهلها وكم فى زواياها خبايا مستكنة يعثر عليها الباحثون وخفايا مستورة لا يقف عليها الا المنقبون وكم بكهوفها البعيدة المنتهى وفى شعابها العديدة التشعب من معادن نفيسة وجواهر كريمة تظهر لطالبها متى عمل على استخراجها ووجه اليها عوامل البحث بمعاول الفكر يؤمها دليل من التبصر يحمل مصباحا من التنبه يضىء غياهبها ومغناطيسا من التدبر يرشدها الى مقاصدها ومالم يعان الطالب هذه الأعمال تبقى تلك النفائس كامنة فى مناجمها ساكنة فى مواطنها لا تتمتع العيون بحسن رؤائها ولا تجد النفوس سبيلا الى اقتنائها

ولقد هدتنى ممارسة هذه اللغة الشريفة الى أصل عظيم فى استنباط التواريخ واكتشاف مجهولاتها وأوقفتنى على طريق قويم يسلك منه الى ابراز كثير من أسرارها الغامضة وحل جملة من طلاسمها المستعصية

ألا وهو (الاستدلال بطريقة الكلام)

ولبيان ذلك نقول ان الذي يسمع انسانا يتكلم بعبارة من العبارات يستفيد منها فائدتين في آن واحد فائدة ذاتية وفائدة عرضية

أما الفائدة الذاتية فهي التي لأجلها ساق المتكلم حديثه وبالضرورة يكون شاعرا باستفادة السامع لها وتلك هي فائدة الخبر أو لازم فائدة الخبر أو ما يخرج عنهما الى الأغراض المبينة في علم المعاني

وأما الفائدة العرضية فهي المفهومة من هيئة النطق وقد لا يشعر المتكلم باستفادة السامع لها مثال ذلك رجل يقول (ما البدر طالعا) فأنت بمجرد استماع هذه الجملة تفهم أن القمر لم يخرج من تحت الأفق وأن المتكلم بهذه الجملة حجازي الأصل أو له ارتباط بأهل الحجاز لانهم هم الذين ينصبون الخبر بعد ما والذي يعاشر عوامّ بلادنا زمنا يمكنه اذا سمع كلام انسان لم يره قط أن يعرف أنه من سكان الصعيد الأعلى أو الأدنى أو الفيوم أو الشرقية أو البحيرة بل يمكنه أن يعرف من أيّ قسم هو من أقسام الشرقية مثلا بل يمكنه اذا كان واقفا على اللغات المستعملة فيها حقّ الوقوف أن يميز عين البلد الذي هو منه

وليس هذا بأمر خاص باللغة العربية أو بالبلاد الشرقية بل هو عام في سائر اللغات وكل البلدان يعلم ذلك من نصب نفسه للبحث والتنقير عن غوامض اللغات وتمييز حقائقها

وأول ما انقدح بضميري هذا الخاطر رأيت في أحد الأندية قوما يتحاورون بعضهم من مديرية المنيا وبعضهم من مديرية بني سويف فسمعت كلامهم فاذا هم على تقارب ديارهم وتجاور مواطنهم متباعدون في اللهجة متباينون في طريقة الكلام أيّ تباينٍ فقلت

ياسبحان الله كيف يكون هذا التباين والاختلاط موجود والتقارب حاصل فلا بد أن يكون لذلك سر خفي وسبب واقعي إنبنى عليه هذا التخالف العجيب رغما عن مصادمة الاختلاط والتجاور ثم قلت لا شك أن هذا الجيل القائم لم يأت بدعا في اللغة ولم ينطق بشيء غير ما سمعه من الجيل الذي قبله كما هو مشاهد في تساوي لهجة الشيوخ والصبيان فبالضرورة هذا الجيل ورث طريقة الكلام عن سلفه ثم نقلت النظر الى الجيل السابق المتصل بالجيل القائم وبحثت عن سبب اختلافه أيضا فتبين لي بقياس الغائب على الشاهد أن سببه إرث اللغة عن الجيل الذي قبله أيضا ولم أزل أنقل النظر من جيل الى جيل راجعا الى جهة الماضي حتى انتهيت الى الجيل الذي دخلت العربية فيه أرض مصر وذلك أيام مافتحها المسلمون في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت ههنا تنحل المسألة ويظهر السر الخفي ويتجلى للعيان السبب في اختلاف طريقة الكلام في الأجيال المتتالية من ذلك العهد الى هذا الوقت الحاضر فأخذت مادة من مواد الاختلاف وألقيتها تحت منظار البحث ووضعتها موضع التأمل حتى اذا ظهر خافيها تكون نموذجا لباقي المواد وتلك المادة هي طريقة النطق بالقاف فبعض أهل بني سويف ينطقون بها قافا صريحة كالقاف التي ينطق بها القراء والعلماء وأهل المنيا ينطقون بها مشوبة بالكاف مثل ما ينطق بالجيم عوام أهل القاهرة أي كنطق الافرنج بحرف G اذا تلاه A أو O أو U ثم عرضت هذا الاختلاف في تلك المادة على المنقول عن قبائل العرب فوجدته موافقا حذو النعل بالنعل للاختلاف بين قريش وغيرهم حيث كانت قريش تنطق بها قافا خالصة وغيرها يشوبها بالكاف

فأوقفتنى تلك المقارنة على أن العرب الذين استوطنوا أرض بنى سويف مدة الفتح وبعده كانوا قرشيين والذين استوطنوا أرض المنيا كانوا من غير قريش

وعلى هذا فيمكن أن ننسب الى قريش إمّا بالنسب أو الولاء أو المخالطة كل من ينطق من أهل مصر بالقاف الصريحة كسكان مديرية الفيوم وبعض مديرية الجيزة وأهل أبيار ورشيد وضواحيها والمحلة الكبرى والبرلس وبلبيس من الشرقية والخصوص من القليوبية وأن نحكم على كل من يتكلم بالقاف المشوبة بأنه ليس من قريش كأهل الصعيد ومديريتى الشرقية والبحيرة الا قليلا وبعض مديرية المنوفية وجميع سكان بوادى مصر

وأكد لى صحة ذلك الحكم ما كان ولا يزال كائنا من عموم الخصب والنماء على جميع الأراضى التى يسكنها المتكلمون بالقاف الصريحة دون الأراضى التى يسكنها المتكلمون بالقاف المشوبة فان منها ماهو صحارى قحلاء لاترى العين فيها الا الرمل والحصى ومنها ماهو سهول سبخة لاتصلح الا لزراعة بعض الأصناف ويتوقف استنباتها على مشاق زائدة وتكاليف باهظة ومنها مالا يزرع فى العام إلا مرة واحدة ومنها ماهو على خلاف ذلك وأنت تعلم أنه مركوز فى طباع الأمم الفاتحة حب الاستئثار بالمنافع والميل الى الاختصاص بأحسن ما يمكن وضع اليد عليه من الأرض التى يفتحونها سنة الله التى فطر الناس عليها وقريش أيام فتوح مصر كانت أشرف العرب نسبا وأكثرها نشبا وأوفرها قوة وأعزها نفرا وكان لها فى الدولة الاسلامية النفوذ الأقوى والسطوة العليا لقرابتها من صاحب الدين عليه الصلاة والسلام فلا

جرم أن سكنت أخصبَ البقاع وامتازت بأحسنِ الأصقاع

وإنما يكون مثل هذا الحكم يقينيا اذا أُيِّد بخصائصَ أخرى وعضد بمميزات لغوية فى كلا العهدين عهد دخول العرب أرض مصر والعهد الحاضر وإلا كان ظنيا فقط

وهنا وقفت على الضالة المنشودة وتيقنت إمكان فتح الكنوز المرصودة بأن تطبق جميع موادّ الاختلاق الشائعة فى اللغات العامّية على ما يماثلها من لغات العرب الصحيحة ويُنسب كلٌّ من يتكلم بطريقة الى أصحابها وحينئذ يمكن لأصحاب الأنساب المجهولة فى مصر والشام والغرب والسودان والعراق وسائر الممالك التى افتتحتها العرب أن يعلموا الى مَنْ ينتسبون وبمن يرتبطون سواءٌ فى ذلك ارتباطُ النسب وارتباطُ الولاء والمحالفة ويمكن أيضا للقبائل المتفرقة فى أقطار مختلفة اذا كانت طريقة كلامهم متحدة أن يعلموا أن لهم أصلا واحدا يجمعهم ويؤول اليه انتماؤهم

ولعمرُكَ ليس هذا بقليل عند من يَقدر الأمور حقَّ قدْرِها ويَعنيه استخراجُ الدقائق التاريخية بل هو أمر يتنافس فيه المتنافسون ويسعى الى تحصيله المجدّون وما الاستدلال بهذه الطريقة (طريقة الكلام) بأدنى خطورة ولا أقلّ اعتبارا من الاستدلال بالأحجار الصامتة والدفائن العتيقة وإنى لأعجبُ كيف لم يتناول هذا الموضوعَ جهابذةُ العلماء ومشاهيرُ المتقدمين مع ما لهم من سَعة الاطلاع ورسوخ القدم أو كيف لم يهتم المتأخرون بإذاعة ما كتب والحذو عليه ان كان قد كتب شيء فى هذا المعنى

ويجب على من يريد أن يخوضَ عُبابَ هذا الموضوع ويُوفيه

حقه من البحث ليصل الى النتائج التى نوّهنا بذكرها أن يشبع القول في بابين عظيمين هما دعامتنا هذا الموضوع اللتان لا يقوم بناؤه إلا بهما

يضمن الباب الأول ذكر الأشياء التى انفردت بالتكلم بها شعوب مخصوصة من العرب وامتازت بذلك لغتهم عن اللغة الشائعة بين أحيائهم * ولتوضيح ذلك نقول ان اللغة العربية وان كانت فى ذاتها لغة واحدة مغايرة للغة الفرنسيس والانجليز والألمان وبقية الأمم الا أنها تتعدد بالنسبة للاختلافات التى توجد فى ألسنة المتكلمين بها فلغة هذيل غير لغة عقيل ولغة قيس غير لغة أسد ولغة تميم تغاير لغة الحجاز وهلم جرا فالاتحاد والتعدد من جهتين مختلفتين فلا تناقض فى الكلام ويمكن تشبيه ذلك بأفراد بنى آدم فانهم يتحدون جميعا فى الحيوانية الناطقية بحيث يطلق على كل فرد منهم لفظ انسان ولكنهم يختلفون بمميزات أخرى مثل الطول والقصر والسمن والنحافة والبياض والسمرة على أن ذلك أمر موجود فى كل اللغات كما قدمنا فالخبير بلغة الفرنسيس مثلا يمكنه أن يميز الباريسى من المارسيلى والاثنين من المونبيلى بمجرد ما يسمع كلامهم مع أن كلا منهم يتكلم باللغة الفرنسية

ويضمن الباب الثانى ذكر الفروق التى توجد فى اللغة العامية و يحصل بها امتياز قوم عن قوم وهذه الفروق كما لا يخفى على من يلقى سمعه اليها عظيمة جدا فلهجة أهل مصر تخالف لهجة أهل الشام بحيث يعرف بذلك المصرى فى الشام ولو كان متزييا بزى أهل الشام والشامى فى مصر ولو كان متزييا بزى أهل مصر وكلا اللهجتين يباين لهجة المغاربة وتغاير اللهجات الثلاث لهجة سكان الحجاز ولهجة السودان لا توافق واحدة مما ذكر بل اذا أخذنا لهجة

واحدة من هذه اللهجات كلهجة المصريين مثلا نجدها متنوعة تنوعا عظيما وان كانت معدودة واحدة فى مقابلة لغة المغاربة أو السودان أو الشاميين إذ كل مديرية من المديريات الأربع عشرة التى فى مصر لها طريقة مخصوصة فى الكلام وكثيراً ما تكون المديرية الواحدة مشتملة على جملة طرق كل قسم منها يمتاز بطريقة بل قد يكون لكل بلد طريقة خاصة فى تأدية العبارات .

وأكثر الناس تحققا من هذا المعنى السائحون فى أقطار الأرض الضاربون فى أنحائها بشرط معاشرة عوام كل جهة ينزلون بها بخلاف الذين يقضون أزمنة سياحتهم اعتكافا فى الفنادق وداخل أسوار العجلات أو هياما فى البرارى والغابات أو مصاحبة لأمراء البلد الذى هم فيه وأولئك لا يتقيدون بلغة شعبهم بل يتكلمون بلغة نزلائهم مضارعة لهم أو يقربون منها مهما أمكنهم وربما أفادوا أولئك الغرباء بعض اصطلاحات قليلة فيظنونها مبلغ العلم ومنتهى الظفر فيودعونها بطون الدفاتر ويعلقون عليها الشروح ويحكمون بأن اصطلاح سكان الجهة الفلانية كيت وكيت وما هو الا اصطلاح قليل منهم على فرض ضبطه ونقله كما هو عمن سمعوه منهم .

ومتى استوفى الباحث هذين البابين فليس عليه الآن يقارن كل شئ بما يماثله أو بما يقاربه ويخرج كل خاصة من خواص اللغة العامية على خاصة من خواص اللغة الصحيحة فان كانت جميع خواص لغة القوم المبحوث عنهم موافقة لخواص لغة قبيلة من قبائل العرب فى الكل أو الأكثر حكم بأن بعض هذه القبيلة أعقب أولئك القوم أو استخدمهم أو نزل بهم مع رفعة الجاه التى تدعو الى تقليد أعمال صاحبها أو

خالطهم على أي وجه من الوجوه الممكنة وان كانت موافقة لخواص لغتي قبيلتين أو لغات عدة قبائل حكم بنسبة أولئك القوم لهما معاً أولهم إما على الترتيب بأن يطرأ عليهم جماعة من إحدى القبائل بعد ما انتسبوا لجماعة أخرى من قبيلة أخرى بأحد الأوجه المتقدمة وإما على المصاحبة بأن ينزل بهم في وقت واحد جماعات من قبائل مختلفة وحكم بأن النسبة لهم على التساوي أو على الكثرة والقلة حسب تساوي تلك الخواص أو كثرتها بالنسبة لقبيلة وقلتها بالنسبة لأخرى

ويتفرع على ما تقدم إمكان معرفة انتساب أقوام متفرقين في جهات عديدة الى قبيلة واحدة فاذا اشترك قوم من الشام وقوم من المغرب في جملة خواص لقبيلة واحدة بحيث تكفي تلك الخواص للتمييز حكم بأنهم من أصل واحد ولسبب من الأسباب الكونية قضى الزمان بتفرقهم وتشتتهم في النواحي وههنا تتنبه الخواطر للسؤال عن علة تلك الحادثة وتستشعر بنقص التاريخ من هذه الجهة فتتشوف الى تكميله بالبحث عن أسباب هذا التبدد ولا بد أن تعثر ولو بعد حين على مطلبها فتقضي حاجة في نفسها ومن جد وجد

فقد تبين لك بما ذكرناه أن هذين البابين هما أساس هذا الموضوع (الاستدلال بطريقة الكلام) فمن أدرك الوطر منهما فقد أدرك أربه من الموضوع وظفر منه بما يبتغيه

ولا يخفى أن الحصول عليهما يحتاج لشغل شاغل وتعب متواصل ونصب متوال وسعة من الأموال وتفرغ من الأعمال وانقطاع الى الكر في هذا المجال بمراجعة الدفاتر واستنزاف المحابر وجوب الأقطار وتسمع الأخبار واقتباس الطرائف من معاشرة الطوائف

ولكن لما كان ورود هذا الخاطر حديثا عندى وبغتنى الوقت الذى فيه ينعقد الاحتفال السابع للجمعية العلمية المشرقية ولم أر من المفيد السكوت حتى أتم البحث فيه على ماتشتهيه نفسى ويرتاح اليه ضميرى كان من المناسب أن أعجل بالفائدة فألم بالموضوع إجمالا وأدخل فى التفصيل بقدر ما أستطيع الآن وأعد بتحقيق الأمل وإتمام العمل بعد استحسان المشروع والاقرار على الموضوع وألتمس من أعضاء الجمعية أن يأخذوا على عاتقهم من هذا العمل القسم المتعلق بمميزات اللغات العامية الخارجة عن الديار المصرية وأنا كفيل بالقيام بحصر مميزات اللغات العامية المصرية على تعددها وتبددها وبحصر مميزات اللغات العربية الصحيحة بأسرها ومقارنة الأولى بما يوافقها من الثانية واستنباط الارتباطات والعلاقات بين هذا الجيل القائم والجيل الذى فتحت فى عهده أرض مصر ان شاء الله تعالى

فلأكتف الآن بالكلام على مايتعلق بالباب الأول من البابين اللذين هما بن مشر وعنالان هذا الباب هو الذى به يتم الانتاج ومنه يخرج الى المراد فضلا عن استفاضة الجهل به وصعوبة الوقوف عليه لمريده بخلاف الباب الثانى فان أكثر عوام بلادنا تعرف مايختص منه بالقطر المصرى لتعودهم بالفعل على استماع اللهجات المختلفة من الطوائف المتعددة التى منها تتألف الأمة المصرية ومتى تصدى له المجد العارف بعادات البلاد زمنا نال منه الامنية فى أمد وجيز على أن كتاب الافرنج تناولوه بأقلامهم ودونوا منه قسما ليس بالقليل ولا أعلم أن أحدا عنى بالباب الأول فألف فيه كتابا أو ألقى فى مسائله خطابا أو عقد له فى كتاب بابا وأيضا فالا يدرك كله لايترك كله وما فاتنا كثره

لايفوتنا قله

وهذا الباب الذى حصرنا القول فيه يمكن تقسيمه الى تسعة مطالب يدخل تحت كل مطلب منه طائفة من المسائل المتحدة فى أمر مشترك بينها

﴿ المطلب الاول ﴾

(فى الابدال)

الابدال هو وضع حرف مكان آخر وينقسم الى قسمين إبدال قياسى وإبدال سماعى

(فالأوّل) مثل ابدال حرف المدّ الزائد الواقع ثالثا فى المفرد همزا فى تكسيره على صيغة منتهى الجموع كقلادة وقلائد وصحيفة وصحائف وعجوز وعجائز ومثل ابدال الهمزة الساكنة الثانية فى الكلمة من جنس حركة ماقبلها نحو آمنت أومن إيمانا الأصل أأمنت أؤمن إئمانا وجملة الحروف التى يبدل بعضها من بعض إبدالا قياسيا تسعة الهمزة والألف والواو والياء والتاء والطاء والدال والميم والهاء وجمعها ابن مالك بقوله (هدأت موطيا) وهذا النوع من الابدال لا مناص للمتكلم باللغة العربية من استعماله لكن فى المواضع التى عينت له فى علم الصرف بحيث يعد مخطئا اذا نطق بالأصل كأن يقول (قلايد وصحايف وعجايز) و (أأمنت أؤمن إئمانا)

(والثانى) وهو الابدال السماعى مثل ابدال الهمزة المبدوء بها فى الكلمة عينا فى لغة تميم وقيس يقولون فى إنك عنك وفى أنت عنت ولا ضابط للحروف التى يبدل بعضها من بعض فى هذا النوع وليس للمتكلم باللغة العربية أن يستعمل هذا النوع من الابدال إلا اذا أراد أن

يحاكى أصحابه (أى أصحاب هذا النوع) فمن شاء الجرى على لغة تميم وقيس مثلا قال عِنكَ وعَنت ومن شاء متابعة جمهور العرب قال إنك وأنت

والمقصود لنا بالكلام فى هذه الرسالة هو النوع الثانى لانه هو الذى يخص قوما دون قوم فلنذكر منه جملة مسائل

(المسألة الأولى) تبدل الياء الواقعة بعد عين جيما فى لغة قضاعة فيقولون الراعِجْ خرج مَعجْ) أى الراعى خرج معى و (الساعِجْ يدَّعِجْ انه أفضل من يَعجْ) أى الساعِى يدَّعِى أنه أفضل من يَعى وعلماء اللغة يسمون ذلك عجعجة قضاعة وقضاعة حىٌّ باليمن ينتمون لعمرو بن مالك بن حمير الملقب بقضاعة ومعنى قضاعة فى الأصل الفهد ومنهم القاضى القضاعىُّ وهو أبو عبد الله محمد بن سلامة من مشاهير المحدِّثين

(المسألة الثانية) تبدل الياء مطلقا جيما فى لغة فقيم . أنشد أبو زيد

يارب إنْ كنتَ قبلتَ حجتجْ * فلا يزال شاحجٌ يأتيك بجْ

أى حجتى والشاحج السريع من الدواب وقال الحماسىُّ

خالى عويفٌ وأبو علجٍ * المطعمان الضيف فى العشجِّ

أى علىٍّ والعشىِّ وقال أبو عمرو قلت لرجل من حنظلة ممن أنت فقال فقيمجٌّ فقلت من أيهم فقال مرجٌّ أى فقيمىٌّ ومرىٌّ فتلخص من ذلك أنهم يبدلون الياء جيما سواء كانت متحركة أو ساكنة مخففة أو مشددة وسواء وقعت قبلها العين أو لم تقع فلغة قضاعة فى هذا الابدال بعض لغة فقيم وفقيمٌ هذه هى فقيمُ دارِم لا فقيم كنانة نسأة الشهور فى الجاهلية أى الذين كانوا يؤخرون حرمة الأشهر الحرُم .

الى غيرها من الشهور وفيهم نزل قوله تعالى إنما النسيء زيادة في الكفر والنسبة الى فقيم كنانة فقمي والى فقيم دارم فقيمي ومن العرب من يعكس هذا الابدال قال الشاعر

اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى * فأبعدكن الله من شيرات
أي شجرات

(المسألة الثالثة) تبدل الحاء عينا في لغة هذيل فيقولون (علت العياة لكل عي) أي حلت الحياة لكل حي وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود عتى حين فأرسل اليه عمر رضي الله عنه أن القرآن لم ينزل على لغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش ويسمى هذا الابدال عند العلماء فحفحة هذيل وهذيل حي من مضر أبوهم هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر

(المسألة الرابعة) تبدل الهمزة المبدوء بها عينا في لغة تميم وقيس فيقولون (عنك فاضل) أي إنك و (عنت كريم) أي أنت و (عذن أكرمك) أي إذن ويسمى هذا الابدال عنعنة تميم وقيس وتميم شعب عظيم أبوهم تميم بن مر بن اد بن طابخة وقيس قبيلة أبوها قيس عيلان واسمه الناس واسم أخيه إلياس والناس و إلياس ولدا مضر لصلبه على ما اعتمد النسابون والقيسان من طي قيس بن عتاب وقيس بن هذمة بن عتاب وقد توسع في ذلك سكان البوادي في الديار المصرية إذ يبدلون الهمزة المتوسطة عينا فيقولون (اسعل الله) أي اسأله

(المسألة الخامسة) تبدل لام التعريف ميما في لغة حمير فيقولون (طاب امهواء وصفا امجو) أي طاب الهواء وصفا الجو ومن ذلك

قوله عليه الصلاة والسلام يخاطب بعض الحِميريين ليس مِن امبر امصيام في امسفر ويسمى هذا الابدال طمطمانية حِمير ويمكن أن يخرّج عليها قول العوام في الديار المصرية كلها إلا مديرية الشرقية (امبارِح) يعنون البارح وهو أقرب يوم مضى وأهل مديرية الشرقية يقولون (البارح) كما يقول جمهور العرب

(المسألة السادسة) تبدل كافُ المؤنثة شِينا في لغة ربيعة عند الوقف على الكلمة ومنهم مَنْ يُبدِل هذا الابدال في الوصل فيقولون (مِنش وعليش) أي مِنكِ وعليكِ وقد روى قول الشاعر يُخاطب الظبية

فعينكِ عيناها وجيدُكِ جيدُها

ولكنَّ عظمَ الساقِ مِنكِ دَقيقُ

﴿ بابدال كافات الخطاب شِينات هكذا ﴾

فعينشِ عيناها وجيدُش جيدُها

ولكنَّ عظمَ الساقِ مِنشِ دقيقُ

وحكى بعضهم أنه سمع أعرابية تقول لجاريتها (ارجِعي وَراءَشِ فانَّ مولاشِ يُناديشِ) أي وَراءكِ ومولاكِ يُناديكِ ويسمى هذا الابدال كشكشةَ ربيعةَ وفائدةُ هذا الابدال الفرقُ بين خطاب المذكر والمؤنث عند الوقف ولافائدةَ له عند الوصل

(المسألة السابعة) تبدل كافُ المذكر سِيناً في لغة ربيعةَ ومُضرَ فيقولون (مِنسَ وعليسَ) أي منكَ وعليكَ ويقولون (عرفتسَ لما أن نظرتسَ) أي عرفتكَ لما أن نظرتكَ ويسمى هذا الابدال كسكسةَ ربيعةَ ومُضرَ وفائدتها كفائدة الكشكشةِ

وسيأتى للكشكشة والكسكسة تفسير آخر

(المسألة الثامنة) تبدل الكاف مطلقا شينا فى لغة اليمن سمع أحدهم فى عرفة يقول (لبيش اللهم لبيش) أى لبيك ويسمى هذا الابدال شنشنة اليمن وكأن هذه الشنشنة أصل لغة شبرويدة وزنكلون وماحولهما من مديرية الشرقية حيث يبدلون الكاف فى نحو كلب وكشك وكون شينا أوحرفا يقرب من الشين

(المسألة التاسعة) تبدل السين المهملة تاء فوقية فى لغة اليمن أيضا فيقولون (النات بالنات) أى الناس بالناس وهذا الابدال يسمى بالوتم ولعله منشأ قول العوام فى عثمان وثعلب وثعبان (عتمان وتعلب وتعبان) بأن يكونوا حرفوا أولا الثاء المثلثه سينا ثم أبدلوا السين تاء على لغة اليمن ومن أهل اليمن من يبدل تاء ضمير المتكلم كافا قال أحدهم يا ابن الزبير طالما عصيكا أى عصيت

(المسألة العاشرة) تبدل العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء فى لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار يقولون (أنطاه درهما) أى أعطاه وقد قرئ (إنا أنطيناك الكوثر) وروى فى الدعاء (لا مانع لما أنطيت) وفى حديث عطية السعدى (فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة) يعنى المعطية والمعطاة ويسمى هذا الابدال بالاستنطاء وهو شائع فى لغة الأعراب بصحارى مصر

(المسألة الحادية عشرة) تبدل الميم باء والباء ميما (١) فى لغة مازن يقولون (بات المعبير) أى مات البعير و (مان المدر فى السماء) أى بان البدر فى السماء

---

(١) قيد بعضهم ذلك بأوائل الكلمات اهـ منه

ومما يحسن إيراده هنا ما رواه المبرّد أن بعض أهل الذمّة قصد أبا عثمان المازنى إمام الصرفيين فى زمانه ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فى تدريسه إيّاه فامتنع أبو عثمان من ذلك قال فقلت له جعلت فداك أتردّ هذه المنفعة مع فاقتك وشدّة إضاقتك فقال ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ولست أرى أن أمكن منها ذمّيا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق بالله بقول العرجى

أظلوم إن مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من كان بالحضرة فى اعراب رجلا فمنهم من نصبه وجعله إسم إنّ ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرّة على أن شيخها أبا عثمان المازنى لقنها إيّاه بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بنى مازن قال أى الموازن أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال (باسمك) لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما قال فكرهت أن أجيبه على لغة قومى كيلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجب به ثم قال ما تقول فى قول الشاعر

* أظلوم إن مصابكم رجلا * أترفع رجلا أم تنصبه فقلت بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين فقال ولم ذلك فقلت ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فأخذ اليزيدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل عليه أن الكلام معلق الى أن تقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد فقلت نعم بنية يا أمير المؤمنين قال ما قالت لك عند

مسيرك فقلت أنشدت قول الأعشى

أيا أبتا لا ترم عندنا * فانا بخير اذا لم ترم

أرانا اذا أضمرتك البلا * د نجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قال قلت قول جرير

ثقى بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال على النجاح ان شاء الله تعالى ثم أمر لى بألف دينار وردنى مكرما قال المبرد فلما عاد الى البصرة قال لى كيف رأيت يا أبا العباس ردد نا الله مائة فعوضنا ألفا

وأهل مديرية الدقهلية وبعض الغربية يبدلون هذا الابدال ولكن لافى كل المواضع بل يبدلون الباء الساكنة اذا تلاها نون فيقولون (يا منى الجنه وقعت على التمن) أي يا بنى الجبنة وقعت على التبن وقسم من مديرية أسيوط يبدلون الميم باء فى بعض الكلمات فيقولون (اقعد بكانك) أى مكانك ولا يبعد عندى أن تكون الباء فى لفظة بكة مبدلة من الميم فى لفظة مكة أو بالعكس جريا على لغة مازن هذه إذ لاضرورة لنا الى القول بأن الواضع وضع مادتين مستقلتين لمعنى واحد ما دام لنا مندوحة عنه

(المسألة الثانية عشرة) تبدل التاء هاء فى الوقف عند طيء سمع من بعضهم (دفن البناه من المكرماه) أي البنات والمكرمات وفى مديرية المنوفية عدة قرى تبدل هذا الابدال فتقول (يا به) تريد يابنت باسقاط النون ومن العرب من يعكس هذا الابدال فيبدل هاء التأنيث تاء فى الوقف كما يفعل بها فى الوصل سمع بعضهم يقول يا أهل سورة البقرت فقال مجيب ما أحفظ منها ولا آيت

وعلى هذا قول أهل الشام في الوقف (تعلمتْ الفلسفتْ) و (قرأت الكتبَ الأدبيتْ) ونحو ذلك والفصيح المشهور الوقف بالتاء في جمع المؤنث السالم وبالهاء في المفرد

﴿ المطلب الثاني ﴾

(في أوجه الاعراب)

أوجه الاعراب هي الرفع والنصب والخفض والجزم ولكل منها مواضع معينة لا يكون في غيرها وعلم النحو هو الكافل ببيان ذلك. غير أن منها ما هو مستفيض بين قبائل العرب شائع بين جماهيرهم ومنها ما هو قليل يختص ببعض القبائل دون البعض الآخر وكلامنا انما هو في هذا فلنذكر منه ما عثرنا على نسبته لبعض القبائل تاركين مالم نعرف له قائلا وان كان كثيرا حتى نتبين قائله ونعرف مصدره

(المسألة الأولى) تستعمل متى استعمال مِنْ في لغة هذيل فيجرون بها نقل عن بعض الهذليين (أخرجها متى كمه) أي منه قال شاعرهم يصف السحاب

شربن بماء البحر ثم ترفعتْ * متى لججٍ خضرٍ لهن نئيج

أي مِنْ لججٍ خضرٍ لها تصويت مع سرعة وغير هذيل يستعمل متى إسم استفهام أو اسم شرط مثال الأول متى نصر الله ومثال الثاني

متى جئته تعشو الى ضوء ناره
تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ

(المسألة الثانية) لغة عقيل جرّ اسم لعلّ بها قال شاعرهم

لعلّ اللهِ فضلكم علينا * بشيءٍ انّ أمكمو شريمُ

والشريمُ المرأة المفضاة وقال الآخر

وداعٍ دعا يامن يجيب الى الندى * فلما يجبه للنداء مجيبُ
فقلتُ ادعُ أخرى وارفعِ الصوت جهرةً
لعلّ أبى المغوارِ منك قريبُ

ولغةُ غير عقيل نصبُ اسمها بها كقوله تعالى لعلّ اللهَ يحدثُ بعد ذلك أمرا

(المسألة الثالثة) لغةُ تميمٍ نصبُ تمييز كم الخبرية مفرداً ولغةُ غيرهم وجوب جرّه وجوازُ افراده وجمعه فعلى لغة غير تميمٍ تقول كمْ درهمٍ أنفقتُ وكم عبيدٍ ملكتُ وعلى لغة تميم تقول كم درهماً أنفقتُ وكم عبداً ملكتُ وعليها وردَ قول غالب التميمى يهجو جريرا

كم عمةً لك يا جريرُ وخالةً * فدعاءَ قد حلبتْ عليَّ عشارى

وبعضهم خرّج النصب على ان كم استفهامية والاستفهام للتهكم ولا ضرورة الى هذا التخريج مادام يروى عن تميم

(المسألة الرابعة) تمتنع حكاية العلم عند تميم والحجازيون يجيزونها فتقول على لغة الحجازيين (مَنْ زيدا) بالنصب لمن قال رأيت زيدا و (مَنْ زيدٍ) بالجر لمن قال مررت بزيد ويجب على لغة تميم أن تقول (مَنْ زيدٌ) بالرفع فى المثالين ويشترط فى جواز حكاية العلم عند الحجازيين أن لا يقترن بتابع وأن لا تقترن مَنْ الاستفهامية بعاطف فلا يجوز باتفاق الحجازيين وغيرهم أن تقول مَنْ زيدا الفاضل لمن قال رأيت زيدا ولا أن تقول ومَنْ زيدا لمن قال ذلك وأما النكرة فيحكى اعرابها باجماع الحجازيين وغيرهم فى الوقف فتقول لمن قال جاء رجل (مَنو) وان قال

رأيت رجلا (مَنا) ولمن قال مررت برجل (مَنى) وفى التأنيث (مَنه) وفى تثنية المذكر (مَنانْ ومَنينْ) وفى تثنية المؤنث (مَنتان ِ ومَنتينْ) وفى الجمع للذكور (مَنون ومَنين) وفى الجمع للاناث (مَنات)

(المسألة الخامسة) يرتفع الخبر بعد ما عند تميم والحجازيون ينصبونه وبلغتهم جاء التنزيل قال تعالى ما هذا بشرا وقال ما هن أمهاتهم ولبعضهم

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب * فأجاب ما قتلُ المحب حرام

وانما ينصب الخبر عندهم اذا لم يقترن الاسم بان الزائدة ولم ينتقض نفيُ الخبر بالا ولم يتقدم هو ولا معموله فلهذا وجب الرفع فى قول الشاعر

بنى غدانة ما إنْ أنتمو ذهبٌ * ولا صريفٌ ولكن أنتمُ الخزف

وفى قوله تعالى وما أمرُنا الا واحدةٌ وفى قول الآخر

وما خذلٌ قومى فأخضعَ للعدا * ولكنْ اذا أدعوهمو فهمو همو

وفى قول مزاحم بن الحرث

وقالوا تعرّفها المنازلَ من مِنى * وما كلّ من وافى مِنى أنا عارف

قال العلماء فى قول الفرزدق

فأصبحوا قد أعادَ اللهُ نعمتهمْ * اذ هم قريشٌ وإذْ ما مثلهم أحدُ

(بنصب مثل) انه أراد أن يحاكىَ الحجازيين فى لغتهم فغلطَ إذْ نصب الخبر المتقدمَ وهم لا يفعلون ذلك

(المسألة السادسة) ينصب الخبرُ بعد إن النافية فى لغة أهل العالية سُمع من بعضهم ان أحدٌ خيراً من أحدٍ الا بالعافية ومن بعضٍ آخر إن ذلك نافعك ولا ضارّك وقال شاعرهم

إنْ هو مستوليا على أحدٍ * إلاّ على أضعفِ المجانين

وقرأ سعيد بن جبير (إنِ الذين تدعون من دونِ اللهِ عباداً

أمثالكم) بان النافية ونصب عباد وأمثال والقراء السبعة يقرؤن (إنّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم) بانّ المؤكدة ورفع عباد وأمثال

(المسألة السابعة) بنو أسد يصرفون مالا ينصرف وانما يقع منهم ذلك فيما علة منعه الوصفية وزيادة الألف والنون فيقولون (لستَ بسكرانٍ) بالتنوين ويلحقون المؤنث التاء فيقولون سكرانة

(المسألة الثامنة) الحجازيون ينصبون خبر ليس مطلقا وبنو تميم يرفعونه اذا اقترن بالا حملا لها على ما قال الأصمعي كنا عند أبي عمرو ابن العلاء يوما فجاء عيسى بن عمر الثقفي فقال يا أبا عمرو ماشيء بلغني عنك تجيزه قال وما هو قال بلغني أنك تجيز ليس الطيبُ إلا المسكُ بالرفع فقال أبو عمرو نمتَ وأدلجَ الناسُ ليس في الأرض حجازيّ إلا وهو ينصب ولا تميمي إلا وهو يرفع ثم قال لليزيدي وخلف الأحمر إذهبا الى أبي مهدي ولقناه الرفع فانه لا يرفع ولأبي المنتجع ولقناه النصب فانه لا ينصب فذهبا الى أبي مهدي فوجداه يصلي فلما قضى صلاته التفت اليهما وقال ما خطبكما قالا جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب فقال هاتيا قالا كيف تقول ليس الطيبُ إلا المسكُ فقال تأمرانِي بالكذب على كبر سني فقال خلف ليس الشرابُ إلا العسلُ فأدركَ اليزيدي مقصوده فقال له ليس ملاكُ الأمر إلا طاعةُ الله فقال هذا كلام لا دخلَ فيه ليس ملاكُ الأمر إلا طاعةَ اللهِ بالنصب فأعادها اليزيدي عليه بالرفع فقال ليس هذا لحنِي ولا لحن قومي فكتبا ما سمعا منه ثم أتيا أبا المنتجع فقال له خلف كيف تقول ليس الطيبُ إلا المسكُ فقالها ورفع فجهدا به أن ينصب فأبى إلا الرفع ثم رجعا الى ابن العلاء وأخبراه الخبر وعيسى

عنده لم يبرح فأخرج عيسى خاتمه من يده وقال له ولك الخاتم بهـذا والله فقت الناس

(المسألة التاسعة) المعروف أن المثنى يعرب بالألف رفعا وبالياء نصبا وجرا ولغة بلحرث وخثعم وكنانة اعرابه بالألف مطلقا فيقولون (انّ أخواكَ يقبلان يداكَ وما بين حاجباكَ) وعليها قول من قال

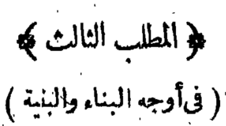
* قد بلغا فى المجد غايتاها *

وليس فى مصر من يلزم المثنى الألف بل كلهم يلزمونه الياء فيقولون (حضر هنا رجلين ومعهما فرسين) ولا أعلم لهم وجها فى هذا النصب اللهم الا أن يكون ذلك توسعا منهم فى لغة هذيل كما سيأتى فى المطلب الخامس أو جريا على امالة تميم وأسد وقيس ونجد كما سيأتى فى المطلب الثامن

والقاعدة العامة عند بلحرث وخثعم وكنانة هؤلاء أن كل ياء بعد فتحة تقلب ألفا فيقولون فى (جئت اليك لان زيدا لما مررت عليه لم أجد أحدا لديه) جئت إلاكَ لانّ زيدا لما مررت علاه لم أجد أحدا لداه قال الشاعر

* طاروا علاهنّ فطر علاها *

أى عليهن وعليها فيكون حكم الى وعلى ولدى عندهم حينما تدخل على الضمير حكمها عند دخولها على الظاهر



المطلب الثالث

(فى أوجه البناء والبنية)

والبنية وسكونهما لا تتغير أبدا وعلى حسب ما سمع اللفظ يجب النطق به فما سمع بالفتح لا يجوز ضمه وما سمع بالكسر لا يجوز سكونه وهلم جرا وقد ضبط جميع ذلك علماء الصرف واللغة ويمكن تقسيم ذلك الى قسمين أيضا قسم عليه جمهور العرب وقسم اختص به بعض القبائل وهذا محل كلامنا فلنذكر شيأ مما تحقق لنا انتسابه من ذلك

(المسألة الاولى) المشهور في إمّا التي للتفصيل كسر الهمزة قال تعالى (فامّا مَنّا بعدُ وإمّا فداءً) ولغة تميم وقيس وأسد فتح الهمزة فتكون صورتها كأمّا الشرطية قال شاعرهم

يا ليتما أمّنا شالت نعامتها * أمّا الى جنةٍ أمّا الى نار

روى بفتح الهمزة في الموضعين ولا تفصحها العامّة إلا نادرا والاستعمال الغالب الكسر وأكثر منه الاعتياض عنها بحرف (يا) كقولهم (العدد يا جوز يا فرد) أي إمّا زوج وإمّا فرد

(المسألة الثانية) المشهور في مثل يا أيها الناس بناء الهاء على الفتح ووصلها بألف تظهر عند الوقف ولغة بني مالك من بني أسد ضمها فيقولون (يا أيهُ الناسُ ويا أيهُ الرجلُ) إلا اذا تلاها اسم اشارة فتفتح اتفاقا كيا أيهذا

(المسألة الثالثة) المشهور فتح ياء المتكلم اذا أضيف اليها جمع مذكر سالم نحو ضاربيّ وطالبيّ وفي التنزيل ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ وفي الحديث أوَمخرجيّ هم ولغة بني يربوع كسرها فيقولون ضاربيِّ وطالبيِّ وقريِّ وما أنتم بمصرخيِّ وبنو يربوع حيّ من تميم أبوهم يربوع بن حنظلة بن مالك ومنهم متمم بن نويرة الصحابي

(المسألة الرابعة) المشهور أن أحرف المضارعة دائما مفتوحة ما لم

يكن الفعل رباعيا فتضم ولغة بهراء كسرها مطلقا (١) فيقولون في نحو نعلم انك تعطى الفقراء وتأخذ بيد الضعفاء (نِعلم أنك تِعطى الفقراء وتِأخذ بيد الضعفاء) و بهراء بطن من تميم قال شاعرهم

لو قلت ما في قومها لم تِيثم * يفضلها في حسب وميسم

أي لم تأثم لو قلت ذلك وهذا الكسر يسمى عند العلماء تلتلة بهراء وللشعبي مع ليلى الأخيلية في كسر نون المضارعة نادرة مشهورة ولغة بهراء هذه شائعة في الديار المصرية بين سكان المدر أكثر من سكان الوبر

(المسألة الخامسة) المشهور في كاف الخطاب المتلوة بالميم الضم قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم و بنو كلب يكسرونها اذا سبقت بكسرة أو ياء فيقولون (جئت من ديارِكم) و (السلام عليكم) و يسمى ذلك وكم بني كلب

(المسألة السادسة) المشهور في هاء الغيبة المتلوة بالميم أن تبنى على الضم ما لم يقع قبلها كسرة أو ياء فتكسر قال تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم و بنو كلب يكسرونها مطلقا فيقولون (لم نكن منهِم وانما أقنا بينهِم وأخذنا عنهِم) ويسمى ذلك وهم بني كلب ولا أثر للوهم

---

(١) هذا مقتضى اطلاق كثير لكن نص الرضى على ان جميع العرب ما عدا الحجازيين يجوزون كسر حروف المضارعة جميعا في ثلاثة مواضع وما عدا الياء في ثلاثة أيضا فالثلاثة الاولى مضارع أبى ووجب ونحو وجل من كل ثلاثي واوي الفاء على فعل بكسر العين والثلاثة الثانية مضارع الثلاثي المبني للفاعل على فعل بكسر العين نحو علم وخال وشقي وعض ومضارع ما أوله همزة وصل مكسورة نحو استغفر ومضارع ما أوله تاء زائدة نحو تكلم وتغافل وتدحرج اهـ منه

والوَكم عند أهل بلادِنا كانَما لم يكن بينهم أحدٌ من بنى كلب

(المسألة السابعة) المشهورُ فى مع البناء على الفتح قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام يابنيَّ اركبْ مَعنا ولغة ربيعة وغنم بناؤها على السكون فيقولون (غدَا معْ أبيه وراحَ مَعْنا) وعلى هذا صح الجناس فى قولى

رأى الواشى تباريحى * فقال الصبُّ قد جُنا

ولوْ أبصرَ وَجناتٍ * تضىءُ الليلَ إنْ جَنا

ووَجها لا نرَى للبدْ * رِ إنْ أبصرْنه مَعنى

لأضحى فى الهوَى صبا * وأمسى هائِما مَعْنا

واذاوَليها ساكنٌ فمن يفتح العين يستصحب الفتح ومن يسكنها يكسرها للتخلص وغنمٌ بفتح الغين وسكون النون حيٌّ من تغلبَ بن وائل وأكثر العامّة فى ديارنا على هذه اللغة الا أنهم يكسرون الميم فيقولون (تعالَ مِعْ صاحبك) ومنهم من يفتح العين ويلحقها ألفا فيقولون (مِعاهمْ مِعاهمْ عليهمْ عليهمْ) كناية عن الرجل الامّعة

(المسألة الثامنة) المشهورُ فى شين عشرة التسكينُ وهى لغة الحجاز قال تعالى فانفجرتْ منه اثنتا عشرةَ عينا ومن تميم من يفتحها فيقول عشرة ومنهم من يكسرها فيقول عشرة وعليه قراءة أبى جعفر يزيد بن القعقاع فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ولم تنقل عنه هذه القراءة فى الكتب المشهورة وانما نسبت اليه فى المحتسب للأعمش ومنهم من يسكن العينَ من عشر اذا تركبت مع غيرها فيقول أحدَ عشرِ فرارًا من توالى المحركات ففيها أربع لغات كلها لتميم الا الاولى فلأهل الحجاز والاولى فاشيةٌ عندنا فى القاهرة وما حولها والثانية فى أكثر مديريات

الوجه البحرى والثالثة والرابعة فى الصعيد الأعلى و بين الاعراب

(المسألة التاسعة) المشهور فى الوتر أنه بفتح الواو للفرد ضد الشفع و بكسرها للذحل أى الثأر وهى لغة أهل الحجاز وعلى العكس من هذا التفصيل لغة أهل العالية و بنو تميم يكسرونها مطلقا

﴿ المطلب الرابع ﴾

(فيما يتردد بين الاعراب والبناء)

ان من الالفاظ ماهو مبنى دائما ومنها ماهو معرب دائما ومنها مايبنى و يعرب فالاول كالحروف بأسرها وكالافعال بأسرها ماعدا المضارعَ العارىَ من نون التوكيد ونون النسوة وكالضمائر وأسماءِ الاشارات وأسماءِ الاستفهام وأسماءِ الافعال والاسماءِ الموصولة وأسماء الشروط والثانى كالاسماء المتمكنة اذا لم تنادَ ولم تدخل عليها لا التى لنفى الجنس ولم تركبْ ولم تكن ظرفا مضافا الى جملة مثالُ ذلك الارضُ والسماءُ والشمسُ والقمرُ والثالث ينقسم الى قسمين قسم يعرب فى بعض التراكيب و يبنى فى بعضها الآخر فيبنى الاسمُ اذا تركب مع لا أو وقع منادًى أو كان ظرفا مضافا لجملة أو مركبا أو أيًّا الموصولة المضافة المحذوفَ صدرُ صلتها نحو (لا رجلَ فى الدار يا زيدُ) و (هذا يومَ ينفع الصادقين صدقُهم) و (رأيت خمسةَ عشرَ يشتغلون صباحَ مساءَ) و (ثمَّ لننزعنَّ من كلِّ شيعةٍ أيُّهم أشدُّ على الرحمن عتيا) و يعرب فى غير ذلك نحو (جاءنى رجلٌ يسمى زيدًا فى صباحِ هذا اليوم ومعه خمسةُ رجالٍ وذهبوا فى المساء فلا أدرى أيًّا أغضبتُ ولا أيًّا أرضيتُ) وقسم يبنى فى جميع التراكيب عند جمهور العرب و يعرب عند بعض منهم أو

يعرب في جميع التراكيب عند الجمهور ويبنى عند البعض وهذا القسم ما نريد الكلام عليه في هذه المسائل

(المسألة الاولى) المشهور في لفظ لدُن الظرفية البناءُ وبنو قيس ابن ثعلبة يعربونها وعلى لغتهم قرئ (من لدُنهِ) وهي تستعمل ظرفَ زمان وظرفَ مكان كعند الا أنها لم تتمكن تمكنَ عند تقول هذا القول عندي صوابٌ ولا تقول هو لدُني صوابٌ

(المسألة الثانية) المشهور في الاعلام التي على وزن فعالِ وليس آخرها راء مثل حذامِ وقطامِ البناءُ على الكسر وثالث لغة أهل الحجاز وتميم تعربها وتمنعها الصرف للعلمية والعدل فتقول على المشهور

اذا قالتْ حذامِ فصدِّقوها * فانَّ القولَ ما قالتْ حذامِ

وعلى غير المشهور ترفع وأما التي آخرها راءٌ مثل وَبارِ إسم قومِ عادٍ وظفارِ إسم مدينةٍ باليمن فتبنى على الكسر اتفاقا

(المسألة الثالثة) المشهور في لفظ أمسِ البناءُ على الكسر وثالث لغة الحجازيين والتميميون يعربونها اعرابَ ما لا ينصرف وعلى اللغة الأولى وَرَدَ قولُ أسقفِّ نجرانَ

منعَ البقاءَ تقلبُ الشمسِ * وطلوعها من حيثُ لا تمسى
وشروقها حمراءَ صافيةً * وغروبُها صفراءَ كالوَرْسِ
اليومُ أجهلُ ما يجيءُ به * ومضى بفصل قضائه أمسِ

وعلى اللغة الثانية وردَ قولُ من قال

لقد رأيتُ عجبا مذْ أمسا * عجائزًا مثلَ السعالي خمسا
يأكلنَ ما في رحلهنَّ همسا * لا تركَ اللهُ لهنَّ ضرْسا

ومحلُّ الخلاف بين الحجازيين والتميميين اذا لم تنكر أمس أو تعرَّف

بأل أو بالاضافة أو تجمع وإلا أعربت اتفاقا نحو كلُّ غدٍ صائرٌ أمسهُ وكانَ الأمسُ طيبا أو أمسنا وكقول الشاعر

مرّتْ بنا أوّلَ مِنْ أموسِ * تميسُ فينا مِشيةَ العروسِ

(المسألة الرابعة) المشهور فى لفظ الذين البناءُ سواء تسلط عليها عاملُ رفعٍ أو نصبٍ أو جرٍّ قال تعالى أولئك الذين هدى اللهُ ولغة هذيل أو عقيل (شكٌّ من النقلة) اعرابها اعراب جمع المذكر السالم قال شاعرهم

نحنُ الذون صبحوا الصباحا * يومَ النخيلِ غارةً مِلحاحا

﴿ المطلب الخامس ﴾

(فى التصحيح والاعلال ومايشبههما)

التصحيحُ والاعلالُ معنيان متضادان فالاوّلُ ابقاءُ حرف العلة على ماهو عليه واعطاء الكلمة وزنها الذى تستحقه والثانى قلبه حرفا آخر من حروف العلة فتخرج الكلمة ظاهرا عن وزنها الذى تستحقه. مثالُ الاول استحوذَ ومثال الثانى استقامَ وسنتكلم فى هذا المطلب على التصحيح والاعلال المسموعين على خلاف المشهور وعلى مصدرهما

(المسألة الاولى) المشهور فى الافعال الماضية الثلاثية التى من باب علِم مثل رَضِيَ ورَقِيَ وعرِيَ التصحيحُ ولغة طيئٍ اعلالها فتقلب الياء ألفا وتقلبُ الكسرة لأجل ذلك فتحةً فتقول رَضى ورَقى وعرَى وهذه اللغة مستعملة فى مديريتى الدقهلية والغربية كثيرا إلا أنهم يكسرون أوّل الفعل فيقولون اِقى و ِحمى و رِضت و عِمت وغيرهم يقولون رَضيتُ وعميتُ وهلم جرا

(المسألة الثانية) المشهورُ في الياء والواو من مثل بَيضات وهيئات وحيرات وجوْزات وعوْرات وموْتاتِ الاسكانُ ولغة هذيل تحريكها بالفتح فتقول على لغتهم بَيَضات وهيَئات وحيَرات وجوَزات وعوَرات وموَتات كما تقول في نحو جنات وسَجدات عند الجميع

(المسألة الثالثة) لغة الحجازيين في اسم المفعول من الثلاثي المعتلِّ العينِ الاعلالُ مطلقا نحو مَبيع ومَدين مِنْ باعَ ودانَ ومقول ومصون من قال وصان ولغة تميم التصحيحُ اذا كانت العين ياء فتقول مَبيوع ومَدْيون ولا يعرف غيرُ هذه اللغة عند عوامّ ديارنا وأما اذا كانت واوًا فالكثير عندهم الاعلال فيقال مَصون ومَقول وندر مصوون ومصووغ على التمام

(المسألة الرابعة) المشهورُ تحقيقُ الهمزة الساكنة من نحو رأس وفأس وكأس وثأر وبئر وظئر ولؤم وشؤم وتميمٌ تقلبها من جنس حركة ما قبلها فتقول راس وبِير وشوم وكأنّ جميعَ السكان عندهم تميميون إذ لم يسمع لهم همزات في مثل هذه الكلمات

(المسألة الخامسة) المشهورُ بقاءُ الالف من المقصور على حالها عند الاضافة نحو هذا فتاكَ وذا فتايَ وهذيل تقلبها ياءً اذا أضيف الاسم لياء المتكلم فيقولون عصيَّ مع فتيَّ قال شاعرهم

سبقوا هوَيَّ وأعنقوا لهواهمو
فتخرّموا ولكلّ جنبٍ مَصرعُ

وسائرُ سكان مصر يقلبون ألف التثنية ياء عند الاضافة للياء فيقولون رِجليَّ وعينيَّ أي رِجلايَ وعينايَ فلعل ذلك توسعٌ منهم في لغة هذيل

(المسألة السادسة) المشهورُ في الوقف على الالف المتطرّفة أن

تبقى على أصلها ولغة فزارة وبعض قيس قلبها ياء فيقولون في الهدى (الهدى).

(المسألة السابعة) من تميم من يقلب هذه الالف في الوقف واواً فيقول (الهدو) ومنهم من يقلبها همزة فيقول (الهدأ) وعلى ذلك قول عوام المصريين في لا (لأ) والحاصل أن في الوقف على الالف أربع لغات بقاءها على حالها وقلبها ياء وقلبها واواً وقلبها همزة

﴿ المطلب السادس ﴾

(في الزيادة والنقص)

الغرض من الزيادة والنقص هنا زيادة حروف الكلمة أو نقصها في بعض لغات العرب عما استقر لها في المشهور الذائع ولنذكر من ذلك عدة مسائل

(المسألة الاولى) المشهور في لغة العرب الوقف على كاف خطاب المؤنثة بصورة الوقف على كاف خطاب المذكر فيقال (نظرتك) للذكر والأنثى وربيعة ومضر يزيدون شينا بعد كاف المؤنثة للفرق بين الخطابين فيقولون (من زمان ما نظرتكش) و (أنا معتمد عليكش) و (استجرت بكش) ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا مع أنه لا لبس وتسمى هذه الشين شين الكشكشة وقد تقدم في المطلب الاول قول آخر في تفسير الكشكشة

وكأن هذه اللغة أصل زيادة الشين في لغة العوام سواء بعد كاف أو غيرها فيقولون (ماتكلمنيش فاني ما كلتكش ودا ماينفعش). ويمكن أن تكون مقتطعة من كلمة شيء فأصل (ماينفعش) مثلا ماينفع

شيأ من النفع ثم صار الى ما سمعت ولا تزاد هذه الشين عند العامة إلا فى النفى كما رأيت أو فى الاستفهام كقولك (فلان سافرش) أى هل سافر فلان وأكثر من يزيدها فى الاستفهام هم أهل دمياط وما جاورها من بلاد مديريتى الغربية والدقهلية

(المسألة الثانية) تقدم أن الكسكسة إبدال كاف خطاب المذكر سينا وقال الفراء هى إلحاق كاف المذكر سينا فى لغة ربيعة ومضر فيقولون فى رأيتك (رأيتكس) فرقا بين خطابى المذكر والمؤنث عند الوقف وحمل الوصل عليه فيمن يكسكس فى الوصل ونقل الحريرى انها لبكر لا لربيعة ومضر وفسرها بزيادة سين مهملة بعد كاف المؤنثة لا كاف المذكر وفى القاموس انها لتميم لا لبكر وفسرها كما فسر الحريرى

(المسألة الثالثة) ذكر العلماء فى معايب اللغات اللخلخانية بفتح اللامين فى لغة الشحر وعمان وهى حذف فى بعض الحروف اللينة فيقولون فى ماشاء الله (مشا الله) وعليها أكثر العوام بمصر

(المسألة الرابعة) وعدوا أيضا منها القطعة بضم القاف فى لغة طيء وهى قطع اللفظ قبل تمامه يقولون (ياأبا الحكا) يريدون ياأبا الحكم ويقولون (لم يسما) يريدون لم يسمع

والقطعة تشارك الترخيم فى أنها حذف آخر الكلمة إلا أن الحذف فى الترخيم وارد على آخر الاسم المنادى وهنا وارد على كل كلمة حرفا كانت أو فعلا أو إسما منادى أو غير منادى والمحذوف فى الترخيم حرف واحد أو حرفان أولهما لين زائد ساكن مكمل أربعة فصاعدا مثل يا سلم ويا منص ويا مسك فى سلمان ومنصور ومسكين وهنا

يكون حرفا واحدا أو حرفين بدون الشروط المتقدمة كقول الشاعر

دَرَسَ المنا بمتالعٍ فأبانِ * فتقادمتْ بالحبس والسوبانِ

أي المنازل ومتالعٌ وأبانٌ إسما موضعين كالحبس والسوبان ولغة بني عامر أنه يكون بجملة حروف فيقولون (سَلْ عنكَ) أي عما بدا لك وعلى لغة بني عامر استعمالُ الاعراب في مصر

وكما يكون للمرخم أن يستعمل لغة من ينتظر أو لغة من لا ينتظر كذلك يكون للقاطع فمن الاول قولهم في يا أبا الحكم يا أبا الحكا كما قدمنا ومن الثاني قول الشاعر

تضلّ منه إبلي بالهوجلِ * في لجةٍ أمسكْ فلانا عن فُلِ

أي عن فلان إذ لو جرى على لغة من ينتظر لقال عن فلا وقول الشاعر

* دَرَسَ المنا بمتالعٍ فأبانِ *

يصلح على كلتا اللغتين

والقطعة لغة كثيرٍ من البلاد المصريّة الآن كالمحلة الكبرى وما حولها وجزيرة بني نصر وأبيار وكثير من مديريتي البحيرة وبني سويف يقولون (النهارُ طلا) أي طلع و (النورُ ظها) أي ظهرَ و (خمدت النا) أي النارُ وهلم جرا

(المسألة الخامسة) المشهورُ في نون من الجارّةِ أن تبقى دائما سواء وَلِيها متحركٌ أو ساكنٌ إلا أنها تكون ساكنة اذا وَلِيها متحرّكٌ ومكسورة اذا وليها ساكنٌ غير ألْ ومفتوحة اذا وليتها ألْ مثالها في المواضع الثلاثة (مِنِ ابتداءِ الساعةِ الأولى من يومِ الجمعة ما رأيت أحداً من الناس) الاولى مكسورة والثانية ساكنة والثالثة مفتوحة وخثعم وزبيد من قبائل اليمن يحذفون النون اذا وَلِيها ساكنٌ فيقولون

(خرجتِ مالدَّار) و (جئتُ ملمسجد) وقال شاعرهم

لقد ظفرَ الزُّوَّارُ أقفيةَ العدا * بما جاوزَ الآمالَ مِلأسرِ والقتلَ

وهي مستعملة عند العامة في مصر وغير مصر وكثيرٌ من الشعراء تابعهم في ذلك قال اليوسى

وتجاذَبَ الخلصاءُ كاساتٍ بها

مِلأُنس أعذَبَ مِنْ سلافةِ صرْخدِ

وسطارِفا مِلوُدِّ يلتحفونها

يُرْخى الحفىُّ على الحفىِّ بمحفدِ

وصرْخد إسم بلدة بالشام تنسب اليها الخمر الجيدة والحفىّ الصديق النصوح والمحفدُ طرف الثوب

(المسألة السادسة) المشهورُ في أولى التي يشار بها للجمع المدُّ قال تعالى حكايةً عن لوطٍ عليه السلام هؤلاءِ بناتي وقال أولئك على هدًى من ربّهم وقيسٌ وربيعة وأسدٌ وأهلُ نجد من بني تميم يقصرونها واللامُ انما تلحقها مقصورة لا ممدودة فلا يقال أولاءِلك ويقال أولالك قال الشاعر

أولالِكِ قومي لم يكونوا أُشابة * وهل يعظُ الضليلَ إلا أولالِكِ

والأُشابة من القوم أخلاطهم

(المسألة السابعة) المشهور في اللذَين واللتين بقاءُ النون دائما وبلحرث بن كعبٍ وبعضُ ربيعة يحذفونها في حالة الرفع وعليه قولُ الفرزدق في هجاء جرير

أبني كليبٍ إنَّ عمىَّ اللذا * قتلا الملوكَ وفككا الأغلالا

وقول الأخطل

هما اللتا لوْ ولدَتْ تميمُ * لقيلَ فخرٌ لهمو صميمُ

(المسألة الثامنة) تميمٌ وقيسٌ يثبتون النون في اللذين واللتين ولكنهم يشددونها فيقولون (اللذانّ واللتانّ) وقرئ واللذانّ يأتيانها منكم ولا يختص ذلك بحالة الرفع بل يكون في النصب والجر وقد قرئ ربنا أرنا اللذينّ أضلانا والمعنى في هذا التشديد تعويضُ الحرف المحذوف وهو الياء في الذي والتي إذ كان مقتضى القياس أن يقال في تثنيتهما اللذيان واللتيان كما يقال القاضيان والمعتديان وقيل تأكيد الفرق بين تثنية المعرب وتثنية المبني

(المسألة التاسعة) المشهور في الوقف على الاسم المنوّن أن يسكن آخرُه اذا كان مرفوعا أو مجرورا ويقلب تنوينه ألفا اذا كان منصوبا فيقال جاء خالدْ ومررت بخالدْ ورأيت خالدا ولغة ربيعة حذفُ التنوين والوقف بالسكون في جميع الاحوال فيقولون رأيت خالدْ ولغة ربيعة هذه هي المستعملة في جميع البلاد العربية الآن

(المسألة العاشرة) لغة الأزد إبدالُ التنوين في الوقف من جنس حركة آخر الكلمة سواء كانت مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة فيقال على لغتهم (جاء خالدُو) و (مررت بخالدِي) و (أنت فاضلُو) و (أكرمْ بك مِنْ فاضلِي) ولم أسمع من عوامّ بلادنا مَنْ يستعمل هذه اللغة إلا قليلا من أهل المطريّة وما يجاورُها من القرى التي على شواطئ بحيرة المنزلة

(المسألة الحادية عشرة) لغة سعد تضعيف الحرف الأخير من الكلمة الموقوف عليها فيقولون (هذا خالدّ) و (أنت فاضلّ) بشرط أن لا يكون الحرفُ الأخير همزةً وأن لا يكون ما قبله ساكنا فلا يضعف في نحو (هذا رشأ) و (هذا بكر) وليس لهذه الطريقة

السعدية أتباعٌ في مصر

(المسألة الثانية عشرة) لغة بلحرث حذفُ اللام والألف من على الجارّة إذا ولِيهاسا كن فيقولون (ركبتُ علفرس) و (رأيت كأنّي أمشي علماء) وهذه اللغة لا يكاد يستعمل سواها عند العوام فيقولون اقعد علكرسي وصلّ عالنبي

﴿ المطلب السابع ﴾

(في الادغام والفك)

لا كلام لنا في الادغام والفكّ المتفق عليهما عند عامة العرب وانما كلامنا في الادغام والفك المأثورين عن بعض القبائل ولنذكر من ذلك بعض مسائل

(المسألة الاولى) لغة أهل الحجاز فكُّ المثلين في الفعل المضارع المضعف المجزوم بالسكون وفي فعل الأمر المبني عليه قال تعالى ومن يرتدِدْ منكم عن دينه فيمت وهو كافر وقال واغضضْ من صوتك ولغة تميم الادغام فتقول من يرتدَّ وبه قرئ وتقول غضَّ قال شاعرهم

فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ * فلا كعبا بلغتَ ولا كِلابا

نعم اذا اتصل بالفعل واوُ جمعٍ أو ياءُ مخاطبةٍ أو نونُ توكيد وجب الادغام عند الجميع نحو رُدُّوا ورُدِّي ورُدَّنَّ فعلى لغة تميم يقال مرَّ بزيد ولا تمرَّ به وشدَّ قواك للطاعة ولا تشدَّها للمعصية وعلى لغة الحجاز يقال امرُرْ بزيد ولا تمرُرْ به واشدُدْ قواك للطاعة ولا تشدُدْها للمعصية قال عليّ كرّم الله وجهه

أشدُدْ حيازيمك للموتِ * فانَّ الموتَ لاقيكا

وهذا البيت من الهزج ودخله الخزم بأربعة أحرف والخزمُ بالزاى زيادةٌ في أول البيت والخرمُ بالراء نقصٌ فيه ولغة تميم هى المستعملة عند العامة

(المسألة الثانية) لغة تميم وان كانت أقلَّ اشتهاراً من لغة الحجاز إلا أنها كثيرة الاستعمال فى ذاتها وعليها فيجب طرحُ همزة الوصل من فعل الأمر فيقال رُدَّ وغضَّ وشدَّ وهلمَّ جرا لانها انما اجتلبت للنطق بالساكن ولا ساكنَ مع الادغام فلا حاجة اليها وحكى الكسائى أنه سمع من عبد القيس أرُدَّ وأغضَّ وإفرَّ بهمزة الوصل

(المسألة الثالثة) الأشهر فى هلمَّ أن تلزم حالةً واحدة سواء أسندت لمذكر أو لمؤنث وسواء كان مفردا أو مثنى أو جمعا فيقال هلمَّ يا زيد أو يا زيدان أو يا زيدون وهلمَّ يا هند أو يا هندان أو يا هندات وتلك لغة الحجاز وبها جاء التنزيل قال تعالى هلمَّ شهداءكم وقال هلمَّ الينا وهى حينئذ مدغمة دائما لثقلها بالتركيب ومن ثم التزموا فى آخرها الفتح زعموا أنها فى الأصل مركبة من هاءِ التنبيه ولمَّ أى ضمَّ نفسك الينا ولغة نجدٍ من بنى تميم أنها تتغير بحسب مَن هى مسندة اليه وحينئذ يدخلها الفكُّ تقول على لغتهم هلمَّ يا زيد وهلمى يا هند وهلما يا زيدان أو يا هندان وهلموا يا رجال وهلممنَ يا نساء واذا أسندتَ لمفرد جاز الفتح والكسر كما حكاه الجرمى عنهم واذا اتصل بها هاءُ غائب نحو هلمه تفتح حتما

(المسألة الرابعة) المشهورُ المستعملُ فكُّ الادغام اذا اتصل آخرُ الكلمة بضمير الرفع البارز نحو حللتَ وضللتَ وشددْنا ورددْنا وعددْتم وبررْتم وذلك لانه يجبُ تسكينُ آخر الفعل اذا اتصل بضمير الرفع البارز لدفع كراهة توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة

ولا يمكن التسكين إلا بالفك ولغة بكر بن وائل ابقاء الادغام قال سيبويه زعم الخليل أن ناسا من بكر بن وائل يقولون رَدَّنا ومدَّنا وردَّتُ أى رَدَدْنا ومدَدْنا ورَدَدْتُ قال وكأنهم قدّروا الادغام قبل الضمير فأبقوا اللفظ على حاله أقول على هذا يحصل لبس في الكلام إذ لا يعرف أنَّ نا في رَدَّنا مثلا فاعل أو مفعول ولكن المدار فى ذلك على القرائن

﴿ المطلب الثامن ﴾

(فى هيئة التلفظ)

للقبائل المختلفة هيئات مختلفة فى التلفظ بالكلمات والنطق بالعبارات فالعبارة الواحدة المركبة من كلمات معينة وان كانت متحدة مادّة تختلف هيئة تبعا لعادات الناطقين بها وذلك عامٌّ فى اللغة العربية الصحيحة واللغة العرفية بل وفى سائر اللغات

وكثيرا ما يختلف معنى العبارة باختلاف النطق بها ألا ترى أن الجملة المحذوف منها همزة الاستفهام كقولك (طلع الهلالُ) لا يتبينُ كونها استفهامية أو خبرية إلا بهيئة النطق يروى أن أبا هريرة سمع النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول مَنْ قال لا إله إلا الله فقد دخل الجنة فذهب يبشرُ المسلمين ذات الشمال وذاتَ اليمين فلقيه عمرُ بن الخطاب وهو على تلك الحالة فدفعه الى خلفه فوقع على استه فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فاستحضر عمرَ وكلمه فى ذلك فقال يا رسول الله إن الناس اذا سمعوا ذلك يتكلون نخلهم يعملون فاستحسن كلامه وقال خلهم يعملون فانظر الى جملة خلهم يعملون فانها فى كلامه صلى الله عليه وسلم غيرُها فى كلام عمر رضى الله عنه من حيث المعنى المراد وان كانت هى هى من

حيث اللفظ

وكثيراً ما تلتبس معاني الاحاديث والاخبار والكلمات المأثورة عن مشاهير الملوك والعلماء والظرفاء و يذهب المفسرون فيها كل مذهب لعدم الوقوف على الهيئة التي صدرت من المتكلم بها ولو نقلت الهيئة مع الجملة لما حصل لبس في معناها ولهذا قال بعض المحققين ان نقل الاخبار في الحوادث التاريخية بالطريقة التي عليها المؤرخون لا يفيد القطع ولا يحمل على اليقين وانما يفيد الظن فقط ومن ثم رجح الناس الآن استعمال التليفون على استعمال التلغراف كما رجحوا النقل بالفنوغراف على النقل بالكتابة ولولا ما يستلزمه الاول من النفقات لعطل الثاني بالمرة

والاختلاف في الهيئة يكون بالشدة والرخاوة والسرعة والبطء والتفخيم والترقيق والوصل والتقطيع والامالة وعدمها ونحو ذلك ونقلة اللغة العربية لم ينقلوا لنا الهيئات التي كان عليها نطق العرب ولم يضعوا لها في الكتابة إشارات تدل عليها وللافرنج في كتابتهم إشارات تدل على بعض الهيئات ولكنها ليست كافية أيضا في الغرض المقصود و يمكن استنباط الهيئات التي كان عليها نطق العرب من الهيئات التي عليها نطق العوام اليوم فاذا رأينا في لهجة قوم من العامة خصائص كثيرة من خصائص لغة قبيلة من العرب حكمنا أولا بأن أولئك القوم ينتسبون لتلك القبيلة كما تقدم وثانيا بأن هيئة نطقهم الموجودة الآن لا بد أن تكون موروثة عنهم وحينئذ يمكننا أن ننسب الى المورث ما تحققناه في الوارث ولنذكر من المسائل ما عثرنا على نسبة بعض الهيئات فيه للعرب حتى يتيسر لنا الوقوف على غيره

(المسألة الاولى) نقل العلماء أن بني قضاعة كانوا اذا تكلموا لا تكاد تظهر حروفهم ولا تتميز كلماتهم وعدوا ذلك من المعايب وسموه

غمغمة قضاعة ومن قرى مديرية الشرقية قريتا تل رزون وميت حمل يغمغم أهلهما في الكلام

(المسألة الثانية) لغة تميم وأسد وقيس وعامة نجد إمالة الفتحة والالف الى الكسرة والياء فتحصل بذلك حركة بين الفتحة والكسرة كالحركة الافرنجية التي تحدث بالحرف é والحجازيون لا يميلون إلا نادرا والامالة نادرة في لغة بني سويف و بعض الفيوم والمحلة وسائر البلاد التي يتكلم أهلها بالقاف الصريحة وكثيرة في لغة بقية العوام في الديار المصرية فأهل القاهرة مثلا يميلون ألف التثنية في نحو حسنين وكتابين وفرسين والمحليون لا يميلونها بل يضعون مكانها الياء الخالصة فيقولون حسنين وفرسين بفتح النون في الاول والسين في الثاني

و بين سكان بلادنا اختلاف عظيم في هيئة النطق فأهل دمياط وما يجاورها من القرى وأهل الفشن وما حولها يركزون ركزة خفيفة على الحرف الساكن في نحو مصطفى ومرتضى ومنتهى ونحو مجزرة ومنشفة ومخرطة وأهل شبين القناطر من مديرية القليوبية والقرينين من المنوفية يتراخون في أواخر الكلمات وأهل المرج من القليوبية يرققون الراآت مطلقا وأهل دمنهور وما يجاورها يرققونها في مثل (رايح) و (يوم الاربع) وأهل البحر الصغير يسرعون بالنطق ولكن مع التمييز

﴿ المطلب التاسع ﴾

(في المترادف)

كثيرا ما يجد الناظر في كتب متن اللغة طوائف من الالفاظ تترادف كل طائفة منها على معنى واحد كالأسد والليث والهزبر والغضنفر

والرئبال والضيغم وكالخمر والراح والقرقف وكالسيف والحسام والعضب والصارم والقضيب والصمصامة والمنصل والمشرفي وكالعسل والضرب والذوب والشوب والوديس والأري والطرم والشهد ولكن اذا أمعن نظره يتبين له أن لا ترادف في الحقيقة لان العرب شعوب وقبائل ولكل شعب ألفاظ محصورة وضعها واضعهم ليتقاضوا بها أغراضهم ولا ضرورة في تقاضي الاغراض الى وضع أزيد من لفظ واحد لكل معنى فالذين يسمون السبع أسدا لا يسمونه ليثا والذين يقولون مدية لا يقولون سكينا إذ لا تمس الحاجة الى ذلك فالحق أن الترادف في اللغات ليس طبيعيا ولا وجود له متى وجهنا النظر الى كل قبيلة على حدتها وانما هو أمر يحدث عند النظر الى كافة القبائل وعموم الشعوب

وحدوث الترادف في اللغة العربية كان على وجهين

(الوجه الاول) أن قبائل العرب كانوا يجتمعون كل عام في مواسم عامة كسوق عكاظ وذي المجاز ومجنة ويتناشدون الأشعار ويتساءلون الأخبار فكان يسمع كل واحد منهم لغات الآخرين ويستعمل منها ماشاء فضلا عن اجتماعهم في مواقف الحروب وتلاقيهم في الأسفار فكانت تتجدد لهم كلمات كثيرة وتنتشر على ألسنة الشعراء والخطباء منهم .

(الوجه الثاني) أن العلماء في الصدر الاول لما رأوا اختلاط العجم بالعرب وخافوا على اللغة أن يفسد أمرها جمعوها وضبطوها لتكون لغة متميزة عن لغات العجم لا يخشى عليها اشتباه أو انقراض ولما كان نقل لغة كل حي على حدتها موجبا للتكرار وطول العمل نقلوها جملة فما كان متفقا عليه بين جميع الاحياء ذكروه على وجهه وما كانوا مفترقين فيه عددوا أوجه الخلاف بلا نسبة لقائليه في الاكثر ومع النسبة في الاقل فتراهم يقولون ان في لفظ (حيث) تسع لغات بناءها

على الضم أو الفتح أو الكسر وعلى كل فالحرف الثانى إمّا ياءٌ أو واوٌ أو ألف ويقولون ان فى المنادى المضاف للياء ستّ لغات يجوز أن تقول يا ربِّ بالسكون ويا ربِّيَ بالفتح ويا ربَّا او يا ربِّ بحذف الياء وكسر الباء ويا ربَّ بالحذف والفتح ويا ربُّ بالحذف والضم ويذكرون للمعنى الواحد لفظين أو ثلاثا أو أكثر الى مائةٍ وألفٍ ويسمونها مترادفةً عليه واللفظ الواحد معنيين أو ثلاثا أو أكثر الى سبعين أو فوقها ويسمونها مشتركةً فيه ولو حققتَ الأمر لوجدتَ اللغاتِ التسعَ التى فى (حيث) موزّعة على تسع قبائل والأوجهَ الستّ فى نحو يا ربّ مجمّعة من ستة أحياءٍ وهلم جرًّا لا يريد العلماء بما فعلوه إلا حصرَ اللغة وضبط الأوجه التى يجوز لمن يريد التكلّم بها اتباعها بحيث يعدّ مصيبا متى جرى فى منهج من تلك المناهج المأثورة ومخطئا متى خرج عنها ولم يكن من غرضهم تمييزُ اللغات بعضها من بعض وضبط نِحلة كل قوم على حدتها كما هو غرضنا الآن لان مقصدنا هذا وان كان مهما بالنسبة للتاريخ وأصلا من أصوله الضرورية لكنه يعدّ ثانويّا بالنسبة لما قصدُوه وهم من ضبطِ انتشار اللغة ولمّ شعثها وجمع متفرقها واستمرار وجود جملتها سالمة من الخلل بريئة من العلل ومن هذا الوجه الثانى جاء أكثرُ ما نجده من المترادف .

يروى أن أعرابية ممن لم تفسد لغة قومها بالاختلاط يقال لها أمُّ الهيثم نزلت العراق وعلماؤه يومئذ مشمرون فى اثبات اللغة وضبطها والتنازعُ محتدمٌ بين الكوفيين والبصريين فقال جماعة من العلماء لنذهبْ الى هذه الاعرابية ونسأل منها عما شجر بيننا فذهبوا اليها فقيل انها عليلة فلما دخلوا عليها قال لها أبو عبيدة عمَّ كانت علتك فقالت (كنتُ وَحمى للدّكة فشهدتُ مأدُبةً فأكلتُ جبجبة من صفيفِ هلعة فاعترتنى زُلخة فقلنا لها يا أمّ الهيثم أيَّ شئ تقولين فقالت أوَ للناس كلامان ما كلمتكم

إلا الكلام العربي الفصيح) الدكة الدسم والمأدبة طعام يصنع لدعوة أو عرس والجبجبة الكرش يجعل فيه اللحم المقطع أو الشحم يذاب ويجعل في كرش والصفيف ماصف على الجمر لينشوى والهلعة الأنثى من أولاد المعز والزلخة وجع يأخذ في الظهر لا يتحرك الانسان من شدته فان قلت يؤخذ مما ذكر أن واضعي اللغات هم البشر فالجواب أن في المسألة خلافا والذي رجحه محققو المتقدمين وقطع به المتأخرون هو هذا على أن ماذكر لا ينافي كون الواضع هو الله تعالى لجواز الوضع لقبائل الأمم كالأمم نفسها

وقد ترتب على حدوث الترادف في اللغة عدة فوائد لم تكن قبل تأصله فيها

منها إمكان تفسير مالم يفهم وهو المعروف عند متأخرى المناطقة بالتعريف اللفظى كأن تقول البر هو القمح والعسجد هو الذهب واللجين هو الفضة ولولا ذلك لما تأتى تفسير القرآن الشريف ولا شرح الاحاديث ولا حل أشعار العرب ولا كشف الغطاء عن مأثور الفصحاء ولا ضبط مواد اللغة بوجه تام

ومنها التقلب في أساليب الانشاء وابراز المعنى الواحد في عدة صور حسب مناسبات المقام ولولا ذلك لما أمكن انشاء الشعر ولا السجع فان الشعر لم يخرج عن كونه عبارة عادية تبدل فيها الألفاظ التى لا توافق الوزن والقافية بألفاظ توافقهما

ومنها ستر العيوب اللسانية فيمكن لمن لا يحسن النطق بالراء مثلا أن يتنحى الكلمات التى فيها الراء ويبدلها بمرادفاتها كما كان يفعل واصل ابن عطاء رأس المعتزلة فانه كان يلثغ بالراء ولكن لم تكد تعرف لثغته إلا صغيرا لابداله كل لفظ فيه راء برديفه واتفق أن بعض الناس أراد

تعجيزه فدفع اليه ورقة ليقرأها له مكتوباً فيها (أمر أمير الأمراء أن تحفر بئر في الصحراء ليشرب منها الشارد والوارد) فقرأ في الحال (حكم حاكم الحكام أن تبحث عين في البادية ليستقي منها الحاضر والبادي) فعلم أن يمه لا يعبر وغوره لا يسبر

ومنها الاغراب في المقال . والتبريز في النزال على أهل الجدال كما حكى عن مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس أن علماء الروم أول ما قابلوه امتحنوه بالسؤال عن قول علي كرم الله وجهه لكاتبه (ألصق روانفك بالجبوب وخذ المزبر بشناترك واجعل حندورتيك الى قيهلي حتى لا أنغى نغية إلا أودعتها بحماطة جلجلانك) فقال على الفور معناه (ألزق عضرطك بالصلة وخذ المصطر بأباخسك واجعل جحمتيك الى أثعباني حتى لا أنبس نبسة إلا وعيتها في لمظة رباطك) فعجب الحاضرون من سرعة الجواب بما هو أغرب من السؤال والمعنى (ألزق مقعدتك بالارض وخذ القلم بأصابعك واجعل عينيك الى وجهي حتى لا أتكلم كلمة إلا حفظتها في حبة قلبك) وفي الجمهرة قال أبو زيد قلت لاعرابي ما المحبنطئ قال المتكاكئ قلت ما المتكاكئ قال المتآزف قلت ما المتآزف قال أنت أحمق ومعنى الجميع القصير المتداني

ومنها ستر المراد عن غير المخاطب من الحاضرين فيقوم ذلك مقام لغة أجنبية

وعلماء اللغة مع كل هذه الفوائد لم يعتنوا بالمترادف كما اعتنوا بغيره وقد رأيت للرجاني فيه تأليفا لا يتجاوز الكراسة وأنت تعلم أن هذا لا يبل غلة الصادي وقد وضع صاحب القاموس رسالة في أسماء العسل خاصة سماها (ترقيق الأسل لتصفيق العسل) ذكر أن له ثمانين اسما وما أحلى صنيعه لو أنه عام وكتابا آخر سماه (الروض المسلوف فيما له

اسمان الى ألوف) والى هذا تشتد حاجة الطالبين وفيه الكفاية للراغبين. غير أنا ما زلنا نسمع به ولا ندرى متى نراه فان لم نعثر به بعد تمام التفتيش والبحث فى الخزائن الشهيرة وضعنا كتابا فى ذلك المعنى يشتمل على كل ماذكر فى لسان العرب والقاموس وشرحه من المترادف على وجه لا تشذ معه كلمة واحدة وقد عقدت العزم على ذلك مع جماعة من أولى الأدب العاشقين للغة العرب فنسأل الله التوفيق لهذا العمل الدقيق وكتاب المرجانى الذى رأيته لم يعز فيه كل لفظ لأهله وما أظن المجد إلا ناهجا منهج المرجانى

واننذكر الآن بعض مسائل من هذا الباب نجعلها نموذجا لمن يريد أن يشترك معنا فى هذا القصد الجليل

(المسألة الاولى) روى ابن جنى أن أعرابيا دخل على ملك من ملوك حمير وأطال الوقوف بين يديه فقال له الملك (ثب) أى اجلس بلغة حمير فوثب الاعرابى وكان على مكان عال فتكسر فسأل الملك عن ذلك فأخبر بلغة العرب فقال ليس عندنا عربيت من دخل ظفار حمر أى فليتكلم بلغة حمير

(المسألة الثانية) روى أن أباهريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقى النبى صلى الله عليه وسلم وقد وقعت من يده السكين فقال له ناولنى السكين فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفعل كذلك ثم قال آلمدية تريد وأشار اليها فقيل له نعم فقال أوتسمى عندكم سكينا ثم قال والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ وعلى هذا يكون القائل

تركت ضأنى تود الذئب راعيها * وانها لا ترانى آخر الأبد
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة * وكل يوم ترانى مدية بيدى

إمّا دَوْسِيا أو متكلما بلغة دَوسٍ قوم أبي هريرة وهم بطن من الأزد (١)

(المسألة الثالثة) ذكر المفسرون في قوله تعالى ربنا افتحْ بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خيرُ الفاتحين أن الفاتحَ في لغة اليمن القاضي

(المسألة الرابعة) كان عليه الصلاة والسلام يخاطب كل قوم بلغتهم فكتب في صدر كتاب لوائل بن حجرٍ أحد ملوك حِمير (الى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب) القيلُ في لغة اليمن الذي يقول مايشاء فينفذ أو هو دون الملك الأعلى فيكون كالوزير في الاسلام كما في فقه اللغة ومثلهُ بهمن عند الفرس والعباهلة هم الذين استقرَّ ملكهم والأرواع السادات والمشابيب الأذكياء

(المسألة الخامسة) من كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر (في التيعة شاةٌ لامقورّةُ الألياطِ ولا ضِناكٌ وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مِمْ بكرٍ فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مِمْ ثيبٍ فضرّجوه بالأضاميم ولا توصيمَ في الدّين ولا غمّة في فرائض الله وكلُّ مسكرٍ حرامٌ ووائلُ بن حجر يترفلُ على الأقيال) التيعة أربعون شاةً ومقورّة الألياطِ مسترخيةُ الجلود والضناكُ المتلثة لحما وأنطوا الثبجة أعطوا المتوسطة والسيوبُ الركازُ ومِمْ لغة في من والصقعُ بالقاف الضربُ والاستيفاضُ النفيُ والتضريجُ بالأضاميم الرّميُ بالحجارة والتوصيم المحاباةُ والغمة السترُ والترفلُ الترأسُ

---

(١) الأزد ثمانية بطون غسان وخزاعة وبارق والأوس والخزرج ودوس وعتيك وغافق اهـ منه

(المسألة السادسة) كتب عليه الصلاة والسلام لنهد إحدى قبائل اليمن (اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر لهم الثمد وبارك لهم في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة وكتب لكم في الوظيفة الفريضة ولكم العارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة) المحض اللبن الذي لم يشب بغيره والمخض ما أخذ زبده والمذق ما خلط بماء والراعي المالك والدثر الخصب والثمد الماء القليل وودائع الشرك دفين الجاهلية ووضائع الملك ما يؤدى على الأملاك من الصدقة والزكاة والالطاط المنع والالحاد الميل عن الحق والفريضة الهرمة والعارض المريض والفريش حديثة العهد بالنتاج وذو العنان الركوب الذي استحق أن يلجم ويركب والفلو المهر الصغير والضبيس الذي لم يذلل والسرح الماشية والطلح شجر طيب الرائحة والمراد بالدر الماشية والرماق النفاق وأكل الرباق عبارة عن نقض المواثيق والربوة الزيادة عن المفروض

(المسألة السابعة) وكتب عليه الصلاة والسلام الى همدان إحدى قبائل اليمن أيضا (بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لأهل مخلاف خارف ويام وأهل خباب الضب وحقاف الرمل من همدان مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا

من دِفئهم وصرامِهم ماسلموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصدقة الثلبُ والنابُ والفصيلُ والفارضُ الداجنُ والكبشُ الحوَرىُّ وعليهم فيها الصالغُ والقارحُ) الفراعُ رَبواتُ الأرض والوهاط مطمئناتها والعزازُ بالفتح ماخشن منها والعلاف جمع علفٍ والعقاءُ مالا مِلكَ فيه لأحدٍ والمراد بالدفء الغنمُ وبالصرام النخلُ والثلبُ الضعيفُ من ذكور الابل والنابُ الضعيفُ من إناثها والفارضُ المسنُّ من البقر والداجنُ الذى يألفُ البيوتَ والكبشُ الحوَرىُّ هو مايؤخذ من جلده النطعُ الأحمرُ والصالغُ مادخل فى السنة السادسة من البقر والغنم والقارحُ مادخل فى الخامسة من الخيل

﴿ خاتمة ﴾

المطالبُ التسعة التى حصرنا فيها القولَ فى هذه الرسالة هى أمّهات مظاهر الاختلافات وأصولُ مواطن افتراق اللغات وماذكرناه فيها من المسائل انما هو من قبيل التنبيه وفتح باب القول وإلا فالمدى فسيحٌ والشرح طويل ومتى بذلت الهممُ وتضافرَ البحاثُ تداعت الفوائدُ وكلمت النتائج وأُحكمت الأُسسُ ومهدت الأصول فلا يبقى إلا تناولُها والعملُ بها فى سائر البقاع المأهولة بالناطقين بلغة العرب

ولعمرى ان تمهيدَ هذه الأصول يكون خطوة واسعة لعلم التاريخ نحوَ الكمال وأشكر الله على التوفيق فهو وليه وكفى به هاديا

تم طبعه وحسن وضعه بمطبعة السعاده الكائن مركزها بدرب سعاده بجوار محافظة مصر وذلك فى أواخر شهر محرّم الحرام سنة ١٣٣٠ من هجرة خاتم الرُّسل الكرام عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم السلام


Bibliotheca Alexandrina
0486555